مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٣/١٠/٢٦

بصراحة **يكتبها محمد حسنين هيكل**

سؤال ... وجواب

هـذه اسئلة عـديدة وجهتهالنفسى ، وذهبت معهـا بالتفكير بعيدا وعميقا قدر ما استطيع .ووجهها لى غيرى وجئت بها معى الى هنا الان ، أجرب الكتابة فيهامحددا وواضحا قدر ما استطيع

■■■ **السؤال الاول :** « كانرأيى وقد عبرت عنه صراحة فى الاسبوع الماضى انه « يصعب علىأن أرى نهاية قريبة لهذه المعارك الطاحنة التى تدور رحاها علىالمرتفعات السورية فى الشمال وعلى رمال سيناء فى الجنوب .وحتى اذا حدث وتوقف القتال فى منتصف الطريق . فلعلى أقول.من الان ومبكرا أن اسرائيل لن تنتظر طويلا قبل أن تعود الى اطـلاق النار مرة أخرى والى اشـعال الحريق

واذا بدا لبعضنا أو لغيرنا ان اسرائيل لا تمانع الان فى قبول وقف اطـلاق النار فى المواقع الحالية التى وصلت اليها قواتنا ـ شرق قناة السـويس ـ فلقديكون مفيدا أن نحتاط وأن نقـدر أن هذا القبول الاسرائيلى ليس علامة تسليم بأمر واقع جـديد وانما هو فرصة لالتقـاط انفاس أربكتهـا المفاجـأة ثم اضطرب انتظامهـا مع سرعـة تدافـع الحوادث بعد المفاجأة

تكرار جـديد ـ مخيف أكثروخطير أكثر ـ لمأسـاة الهدنة الاولى فى فلسـطين صـيف سنة ١٩٤٨ »

لم تكد تمر ثلاثة ايام على هذا الراى الذى عبرت عنه صراحة فى الاسبوع الماضى ،حتى كان مجلس الامن قد اصدر قرارا بوقف اطلاق النار ، وقبلته اسرائيل على الفور اثناء جلسة مجلس الامن فجر يوم الاثنين ثم قبلناه نحن رسميا بعدها بساعات عند الظهر لكنه عاد الى الاشتعال مرة اخرى وتلاحق دوى الانفجارات ، بعضها غادر وبعضها الاخر غاضب !

ما هو تقديري لما حدث ؟ هل ما زلت عند راى ابديته فى الاسبوع الماضى ؟ هل تغير هذا الراى ؟ هل تغيرت الاوضاع ؟ او ماذا ... ؟

■■■ جوابى كما يلى :

لقد ابديت رايا ، وكل راى اجتهاد ، وكل اجتهاد معلق برؤية صاحبه ، ثم انه مرهون بتقدير ظروف متحركة باستمرار ، وقد تختلف الاجتهادات والرؤى وتقديرات الظروف المتحركة باستمرار ، ولكنى اريد ان اقول ـ بامانة وصدق ـ انه فى لحظات معينة من مسار التاريخ لابد ان تكون هناك مساحة واسعة من الحرية لصانع القرار يتحرك فيها على مسئوليته ويلائم فيها شراعه مع الرياح ويملؤه بالهواء من اى ناحية ويحصل لنفسه

بذلك على قوة اندفاع أكبر نحو نقطةوصول يرىعندها هدفه .

ولست من أنصار ترك كل شيء لاى فرد مهما بلغت درجة الثقة فيه ، ولكنى أعرف أن أحوال العصر الحديث وبينها تعقيد وتشابك القضايا ، وتزايد سرعة الحوادث ، واحتمالات تراكم وتصادم الاعتبارات ـ تضع كلها على كاهل صانع القرار فى هذا العصر أعباء ومسئوليات وتبعات لم تكن تخطر على البال فى عصور سبقت

ولقد يحتدم النقاش بيننا حول قضايا المصير ، ولكن هناك لحظات يتحتم فيها على الكل ان يتبعوا الراية العالية الغالية ، وأن يحاولوا الفهم الى اقصى ما يستطيعون ، وأن يحاولوا العطاء الى أقصى ما يقدرون ، محيطين كلهم بصانع القرار لان القرار فى قضايا المصير يصبح حياة وطن وحياة امة ، والجدل حوله بعد الاوان أو قبل الاوان اما نوع من التزيد أو نوع من الترخص كلاهما لا يليق

ولربما كان احسن ما نستطيع به متابعة وتحليل وتقييم تصرفات صانع القرار والمسئول عن ادارة الصراع ـ خصوصا اذا كنانثق فيه ـ هو أن نحاول ، وبمنتهى الموضوعية ، ملاحظة وفهم ودراسة المناخ الذى يفكر ويمارس ويقرر فيه وتحت مؤثراته

وفيما يتعلق بقرار القبول بوقف اطلاق النار ، فان صانع القرار المصرى ، كان فيما أتصور أمام العوامل التالية :

❶ ان القوات المصرية المسلحة اثبتت نفسها بأكثر مما قدر أصدقاؤها وأعداؤها على السواء خصوصا فى نقطتين بارزتين :

◀ النقطة الاولى : دقة التخطيط والتنفيذ لعملية العبور التاريخية التى تم بها وسط النار اقتحام قناة السويس واجتياح خط بارليف

وقد دخلت هذه العملية بالفعل الى التاريخ العسكرى العالمى كله وسيبقى لها مكانها المرموق فى سجلاته مهما حدث أو يحدث

◀ النقطة الثانية : روح القتال العظيمة التى حارب بها ضباط مصر وجنودها وفرضوا على الدنيا كلها ـ بما فيها العدو ـ احتراما جديدا لقيمة الانسان العربى واستعداده لمجابهة تحدى الحياة وتحدى الموت معا

ان هذا العامل ألحق تغييرات جذرية على ما أسميناه اصطلاحا بأزمة الشرق الاوسط :

● لقد كسر الجمود الذى أحاط بها وغطاها بطبقة من الجليد كانت شبه متحجرة .

• ودعا القوى الدولية كلها الى الالتفات نحو ما يجرى على أرض الشرق الاوسط ، بعد ان كانت تدير له ظهرها ؛ وان التفتت اليه بين الوقت والاخر تربت على كتف العرب فى عطف مرة ، وتمسح لهم دموعهم بالمواساة مرة أخرى .

• وفتح خريطة الشرق الاوسط ، وراجع الخطوط التى كادت تثبت عليها بست سنوات من أمر واقع مفروض ، وطرح رسم الخطوط من جديد

• وانهى اسلوبا من الفطرسة والتعالى ، اتخذه العدو لنفسه منذ معارك الايام الستة ، وكان هذا الاسلوب يضع العدو فى مركز يسمح له برفض مطالبنا وفرض مطالبه وردعنا بقسوة اذا بدا لهتمردنا على الخضوع!

ان ذلك كله معنويا وسياسيا وعمليا كان انجازا عظيما بأى مقياس والانجاز وحده هو الذى يولد الثقةبالنفس والثقة بالنفس تعطى صاحبها قدرا من المرونة والمرونة فى هذه الحالة تكتسب معنى آخر غير معنى المساومة .

❷ ان صانع القرار المصرى وجد أمامه حركة منسقة من القوتين الاعظم فى عصرنا : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى. وليس معنىالتنسيق أن نفترض وجود وحدة فى المنطلقات ، لان منطلق الولايات المتحدة يختلف عن منطلق الاتحاد السوفيتى اكيدا ويقينا

أى أن التنسيق مع اختلاف المنطلقات هو محصلة نهائية لشد وجذب ، وتعارض ارادات ثم هو فى النهاية حكم ضرورات تعطى للقوتين الاعظم — شئنا أو لم نشأ ، شاء غيرنا أو لم يشاءوا — دورا خاصا لا يحكم وان كان يتحكم

أعنى أنه دور لا يملى ارادته على الاخرين من اعلى ، ولكنه دور لا يستطيع الاخرون ان يتجاهلوه حيثما كانوا وكانت درجاتهم على السلم الدولى

وفضلا عن ذلك فانه مما يجعل تاثير القوتين الاعظم محسوسا فى أزمة الشرق الاوسط أنهما معا مصدر السلاح الاساسى للطرفين المتحاربين على أرض المنطقة :

◀ الولايات المتحدة : مصدر السلاح الرئيسى لاسرائيل

◀ والاتحاد السوفيتى : مصدر السلاح الرئيسى لمصر وسوريا

ولقد كان مشهد القوتين الاعظم خلال الازمة مشهدا عجيبا

فى الصراعات الدائرة فى عصر جديد

وتخطر على بالى عند هذه النقطة مناقشة دارت بين السفير الفرنسى فى القاهرة « برونو دى لوس » وبينى ، فى وقت كان القتال فيه محتدما بعنف فى صحراء سيناء ... صدام ارادات حتى النهاية ، بكتل الحديد وعواصف النار ولحم ودم الرجال والشباب .

وقال لى السفير «دى لوس» :

« ــ هل تستطيع تصور مانراه أمام عيوننا بين القوتين الاعظم الان ؟

الحوار بالطائرات والدبابات والصواريخ دائر هنا.. والحوار بينهم هناك فى الصالونات والمكاتب ، والرسائل الشفرية على الخطوط الساخنة ، وبالتليفونات بين واشنطن وموسكو

وأغرب من ذلك ــ اغرب كثيرا ــ ما نراه فى الجو والبحر :

● جسر جوى أمريكى قادم عبر البحر الابيض ــ طولا ــ من أمريكا الى اسرائيل : من الغرب الى الشرق

وجسر جوى آخر سوفيتى قادم عبر البحر الابيض ــ عرضا ــ من الاتحاد السوفيتى الى مصر وسوريا : من الشمال الى الجنوب

الجسران الجويان يتقاطعان مع بعضهما فى نقطة ما من سماء البحر الابيض ولكن كلا منهما يمضى فى سبيله

● ثم جسر بحرى عبر البحر الابيض أيضا

أمريكى من الغرب الى الشرق

سوفيتى من الشمال الى الجنوب

والبواخر الحاملة للسلاح تتلاقى على الموج فى النهار وفى الليل . وتحت الموج غواصات لكل طرف من الطرفين ترى كل شىء وتسمع كل شىء وتسجل ولا تتدخل

أليس هذا منظرا عجبا ؟

كيف نفسره ؟ هل درسناه ؟

لابد أن نفعل ذلك ! »

ويسكت السفير الفرنسى عن الكلام لحظة بشفتيه ولكن عينيه لاتسكتان وانما تلمعان بخواطر فى مثل ومضات البرق !

. . . . .

. . . . .

. . . . .

❸ ثم تابع صانع القرار المصرى قوة الدولتين الاعظم تمارس حركتها لاول مرة فى عصر الوفاق على مسرح مجلس الامن ، بعد أن تم التوصل بينهما الى موقف مشترك :

تبادل كل منهما مع الاخر مالديه من حقائق ومعلومات

ثم تعرف كل منهما على الحقائق فيما يختص بالطرف المحلى الذى يؤيده فى الصراع :

◀ تعرفت الولايات المتحدة على الحقائق فيما يختص باسرائيل : ولم تكن سرا عليها ولكن الامر اقتضى مع ذلك ان يذهب هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية الى مبنى السفارة الاسرائيلية فى واشنطن لكى يتصل من هناك بوساطة خط تليفونى مباشر ومؤمن ضد الاختراق والتسمع ، مع جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل وكان كيسنجر يتصل عدة مرات كل يوم عن طريق هذا الخط بجولدا مائير

◀ وتعرف الاتحاد السوفيتى على الحقائق فيما يختص بمصر: ولم تكن سرا عليه ولكن الامر اقتضى أن يجىء اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى بنفسه الى خمس جلسات عمل مع الرئيس انور السادات فى القاهرة ومن المفارقات ان اليكسى كوسيجين ذهب ثلاث مرات من قصر القبة الذى اقام فيه الى دار السفارة السوفيتية فى الجيزة لكى يتصل من هناك بوساطة خط تليفونى مباشر ـ مؤمن ضد الاختراق والتسمع هو الاخر ـ مع الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف

◀ ثم طار هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية من واشنطن الى موسكو فى ساعات وعقد عدة جلسات مع ثلاثى القمة السوفيتية: بريجنيف وكوسيجين وبادجورنى

◀ وبدات القوتان الاعظم أول تطبيق عملى لمواجهة أزمة طارئة فى عصر الوفاق :

● دعى مجلس الامن الى الاجتماع بعد ظهر يوم الاحد ، وكل الاعضاء خارج نيويورك فى عطلة نهاية الاسبوع ، ولكنهم تلقوا الدعوة وعادوا جميعا الى مقاعدهم واجتمع المجلس

● وكانت بريطانيا تطمح ان تقوم بدور يكون عليها فيه أن تقدم مشروع القرار الى مجلس الامن كما حدث سنه ١٩٦٧ ولكن القوتين الاعظم هذه المرة لم تكونا فى حاجة الى طرف ثالث: وسيط أو واجهة. وهكذا تقدمتا معا بمشروع قرار

● وبعد ساعتين من المناقشات كان القرار صادرا بالاجماع بدون اعتراض من احد

ولم يعد القرار مجرد ارادة القوتين الاعظم ـ بعد التشاور

مع اصدقائهما فى منطقة الصراع ـ فحسب ، وانما أصبح ارادة مجتمع الدول كله وهو مجتمع بذل العرب جهودا كثيرة ومضنية لكى يجعلوه يميل ناحيتهم بعد ان كان يميل الى الناحية الاخرى

. . . . .
. . . . .
. . . . .

❹ ان صانع القرار المصرى كان عليه أن يأخذ فى اعتباره تطورا له خطره

فى الايام العشرة الاولى من الحرب كان يقاتل اسرائيل وحدها : نظرية الامن فيها ، وجهاز الحرب المستعد عندها ، وحماقة القوة التى انتشت بها ربع قرن كاملا من الزمان

ولقد حقق المقاتل العربى مالم يكن فى حسبان احد

فى الايام العشرة الاولى من القتال استطاع ـ وسوف أعتمد هنا على التقديرات الامريكية وحدها بغض النظر عن التقديرات العربية ـ أن يحقق ما يلى :

١ ـ تحطيم ٩٠٠ دبابة اسرائيلية [اى نصف القوة المدرعة لاسرائيل]

٢ ـ اسقاط ١٦٠ طائرة اسرائيلية [اى ثلث القوة الجوية لاسرائيل]

٣ ـ قتل مابين خمسة آلاف الى ستة آلاف من ضباط وجنود اسرائيل

وهذا الرقم خطير لانه ـ لو أخذنا فى الاعتبار نسبة السكان فى اسرائيل الى نسبتها مع الولايات المتحدة ـ يماثل كما لو أن الولايات المتحدة خسرت فى حرب فيتنام نصف مليون قتيل .

وأهم من كل الارقام فان مفاجأة المؤسسة العسكرية فى اسرائيل بكل ماحدث ونتائجه كانت قاسية ، كما كانت قاسية ايضا صدمة الراى العام الاسرائيلى

ان الولايات المتحدة بادرت من اللحظة الاولى الى تأييد اسرائيل وراح التأييد الامريكى لاسرائيل يتصاعد ويتصاعد يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة :

- جسر جوى وبحرى لاسرائيل تزداد كثافته
- الرئيس ريتشارد نيكسون يذهب الى الكونجرس يطلب

منح اسرائيل سلاحا امريكيا ثمنه ٢٣٠٠ مليون دولار

● **بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلية يجمع من يهود نيويورك ١٤٠٠ مليون دولار ومن يهود أوربا الغربية ٦٠٠ مليون دولار والمجموع ٢٠٠٠ مليون دولار ــ اى أن الاعتمادات التى أصبحت جاهزة تحت تصرف اسرائيل لمجهود الحرب ــ فضلا عن الميزانية الاسرائيلية العادية ــ زاد عليها فجأة مبلغ ٤٣٠٠ مليون دولار**

● **متطوعون امريكيون ــ خصوصا من الطيارين ــ يتدفقون على اسرائيل**

● **سيل من الخبراء الامريكيين يظهرون مع الاسلحة الجديدة فى اسرائيل**

● **طائرات أمريكية من طراز جالاكسى الجبارة تحمل الدبابات مباشرة من أمريكا الى مطار العريش الذى تحتله اسرائيل لكى تنزل الدبابات عليه مباشرة وتتسلمها الأطقم الجاهزة لها من الاحتياط المستدعى وتتوجه رأسا الى ميدان القتال** [ولقد ثبت ذلك عمليا بالاستطلاع ، بل وحتى بالدليل المادى فان احدى الدبابات من طراز م ٧٠ التى تم أسرها أمام المواقع المصرية لم تكن قد سجلت على عدادها أكثر من ١٢٠ كيلو مترا ، وكانت تلك هى كل المسافة التى قطعتها هذه الدبابة فعلا على الارض]

● **اخطر من ذلك : طائرتان من طائرات الاستطلاع العالى الامريكى تخترقان المجال الجوى المصرى والمجال الجوى السورى وتعبران بارتفاع شاهق فوق جبهات القتال والصور بالتاكيد بعد دقائق فى اسرائيل**

● **ونتيجة للاستطلاع ــ الى جانب نتائج اخرى سوف يجىء وقت الحديث عنها ــ فان الولايات المتحدة تفتح ترساناتها لتقدم لاسرائيل ما يلائم حربها وبعضه مما لم تستعمله هى ــ الولايات المتحدة ــ فى حروب خاضتها بنفسها وأهمها قنابل صواريخ «سمارات» و «مافريك» وغيرهما**

والنتيجة أنه بعد الايام العشرة الاولى من الحرب وجد صانع القرار المصرى أنه أمام تدخل أمريكى مباشر فى ميدان القتال

واعتـــرف اننى أحسست ـــ عميقا ـــ بمشاعر انور السادات حينما لقيته بعد ساعات من قبوله لوقف اطلاق النار يقول وبغير أسى أو خوف :

ـــ اننا ضربنا اسرائيل ضربة لن تنساها مدى العمر ...

ونحن الان نجـــد الولايات المتحدة فى الحرب ضدنا

وهذا شرف لنا بغير جدال ولكنه شرف لم اسع اليـــه ولا أريده بالتأكيد »

ثم يضيف :

ـــ « ان « اولادى » بمفردهم ضربوا اسرائيل بمفردها ،ولكنى لا استطيع بمسئوليتى عنهم ان اقـــول لهم « واصلوا القتـــال وأمامكم الولايات المتحدة » ... ذلك يقتضينا حسابات اخرى .. وانا لا اخاف وانما لابد من اعادة حساباتى »

. . . . .

. . . . .

. . . . .

❺ ان صانع القرار المصرى تنبـــه مبكرا الى التطـــورات المحتملة فى الموقف كله واضعا فى اعتباره انه دخـــل الحرب وفق اســـتراتيجية ليس له أن ينساها

ولقد كان الهدف الاستراتيجى المصرى المحدد ، هو كسر السلام الاسرائيلى [كما عبر الرئيس انور السادات فى خطابه أمام مجلس الشعب واللجنة المركزية يوم ١٦ أكتوبر]

كسر سلام الامر الواقع ...

كسر الســـــلام المفـــروض بالارهاب الاسرائيلى ...

ومن ذلك الهدف الاستراتيجى ومن التنبه المبكر الى التطورات المحتمـــلة فان الرئيس انـــور السادات طرح مشروعا عربيا للسلام [فى نفس خطابه يوم ١٦ أكتوبر]

ولقـــد قدم انـــور السادات مشروع السلام العربى قبـــل خمس ســـاعات من وصـــول اليكسى كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى الى القـــاهرة ، وبالتـــالى فان هـــذا المشروع العربى للسلام كان على المائدة فى اجتماعات قصر القبة بالقاهرة

ثم كان مشروع الســـــلام العربى على المـــائدة بعد ذلك حينمـــا اجتمـــع ثلاثى القمـــة

السوفيتى مع هنرى كيسنجر فى قصر الكرملين بموسكو

وكان مشروع السلام المصرى اخيرا على المائدة حينما اجتمع مجلس الامن فجر يوم ٢١ اكتوبر فى مبنى الامم المتحدة بنيويورك

وأهم من ذلك فان مشروع السلام المصرى كان فى عقل وقلب صاحبه المسئول تاريخيا عن صنع القرار المصرى حين دق التليفون القابع بجواره باستمرار هذه الايام ، وقيل له فى الساعة التاسعة تماما من مساء يوم الاحد ٢٠ اكتوبر ، ان السفير السوفيتى فى القاهرة فلاديمير فينوجرادوف يطلب مقابلة عاجلة معه ، لان لديه رسالة من ليونيد بريجنيف الذى يجلس الان مع هنرى كيسنجر فى موسكو .

وقال الرئيس السادات فى التليفون :

ـ أبلغوه اننى فى انتظاره الان »

وفى نصف ساعة كان السفير مع الرئيس يقدم اليه رسالة بريجنيف وكانت فيما سمعت بعد ذلك رسالة مطولة من اجزاء متعددة :

● تفاصيل عن اتصالات القوتين الاعظم وعلى وجه الخصوص عن محادثات موسكو مع كيسنجر

● نص مشروع القرار الذى تعتزم القوتان الاعظم تقديمه الى مجلس الامن الذى دعى الى الاجتماع الليلة وينتظر أن تبدأ جلسته « بعد ساعة ونصف الساعة»

● الضمانات التى اتفقت القوتان الاعظم على احاطة مشروعهما المشترك بها حتى يتم التنفيذ الفورى والكامل لقرار مجلس الامن

● التاكيدات التى يعزز بها الاتحاد السوفيتى ثقته فى هذه الضمانات

ولقد عرف العالم كله بعد قليل صيغة القرار المشترك الذى تقدمت به الدولتان الاعظم الى مجلس الامن ولكن ماعدا ذلك من رسالة الزعيم السوفيتى ليونيد بريجنيف كان لعلم الرئيس المصرى وحده [واعتقد بدون معرفة بالتفاصيل ان هناك شواهد عديدة تؤكد ان الاتحاد

السوفيتى متمسك بما قدم من تاكيدات لانه يتحرك خصوصا خلال الساعات الاخيرة بقوة وفاعلية]

وقال السفير السوفيتي للرئيس بعد أن تم نقل الرسالة اليه بكل اجزائها :

ـ لقد كنت قبل قليل على التليفون مع الرفيق بريجنيف شخصيا

وهو يقول لك انه «ظل ليالى طويلة ساهرا معك ومع احداث المنطقة وأما الان وقد توصلنا الى بداية طريق فانه سوف يذهب لينام ويقترح عليك ايضا أن تنام لتستريح بعض الوقت »

وقال أنور السادات للسفير السوفيتى :

ـ أرجوك أن تنقل للصديق بريجنيف كل شكرى على ما سمعته منك الان

لقد احسسنا بجهده الكبير معنا خلال الايام الاخيرة ، ومن حقه أن يستريح الان بعض الوقت ويذهب لينام »

ثم اضاف أنور السادات :

ـ من سوء الحظ أننى لا استطيع أن انام ... لم يحن الوقت بعد لنا كى نستريح وننام »

. . . . .
. . . . .
. . . . .

❻ واخيرا ـ وبالتأكيد ـ فان صانع القرار المصرى كان يتمثل فى ذهنه بعض المواقف العسكرية الطارئة والمحتملة ، سواء على الجبهة الشمالية في سوريا ، أو على الجبهة الجنوبية فى مصر .

وهذا عامل أوثر ان لا أخوض فى تفصيلاته ، لان الضرورات كلها تنهى عنه الان ، وتستبعده ، ولكنى اكتفى هنا باشارات سريعة :

● ان هذه المواقف العسكرية والطارئة لا تستطيع ان تغطى على العمل العظيم الذى قامت به قواتنا المسلحة .

● ان هذه المواقف لا صلة لها بشجاعة المقاتلين ، فلقد كان هؤلاء ، وفى اصعب الظروف ، شرفا لاوطانهم وأعلامهم وسلاحهم .

● ان جيلا جديدا قد تعلم فى وهج الحرب لمدة ثلاثة أسابيع بأكثر مما استطاع جيل قبله ان يتعلمه فى ثلاثين سنة .

وأمس فقط كانت هذه النقطة مدار حديث بين الدكتور محمود فوزى وبينى ، وكان قوله لى :

ـ لقد كنا ندعى ان فى استطاعتنا ان نعلم شبابنا ، والان فان علينا أن نتواضع ، وأن نتعلم من شبابنا .

لقد حاربوا لاول مرة فى حياتهم .

وحاربوا فى عصر جديد يختلف عن عصور مسبقة .

وحاربوا بأسلحة لم تجرب من قبل فى ميدان قتال على هذا المدى الواسع .

ولقد اثبتوا انهم قادرون على الحياة وعلى العصر وعلى سلاحه ، ولا اقصد سلاح القتال وحده ، وانما اقصد سلاح البقاء الحضارى كله . »

كان هذا هو المناخ الذى فكر ومارس وقرر فيه وتحت مؤثراته صانع القرار المصرى واعلن قبوله لوقف اطلاق النار

ولم تتوقف النار حتى هذه اللحظة برغم قرارات متلاحقة من مجلس الامن وبرغم بيانات ونداءات

ولسنا فى حاجة الى تحقيق لكى نعرف من الذى يعود الى اطلاق النار

أقول بغير تردد وبغير انتظار تحقيقات تجريها لجان المراقبة الدولية أو غيرها :

ـ العدو هو الذى يعود الى اطلاق النار

انهدفه هو تدمير القوات المسلحة المصرية

ان النقطة الساخنة فى الصراع ما زالت كما قلت فى الاسبوع الماضى هى : نظرية الامن الاسرائيلى

ولقد استطاعت القوات المسلحة المصرية ان تهز نظرية الامن الاسرائيلى وهذا شىء يذهب بعيدا وعميقا فى تكوين وحياة ومستقبل اسرائيل

ليست النقطة الساخنة فى الصراع شريطا تحتله القوات المصرية على الشرق من قناة السويس

وليست النقطة الساخنة فى الصراع ثغرة فتحتها القوات الاسرائيلية على الغرب من قناة السويس

النقطة الساخنة هى نظرية الامن الاسرائيلى التى استطاعت القوات المسلحة المصرية أن تهزها بعرق ودم ضباطها وجنودها على ساحات القتال

وأظن أن اسرائيل بعودتها الى اطلاق النار تريد تحقيق ثلاثة أهداف تبدو أمامى واضحة :

● محاولة تدمير القوات المسلحة المصرية التى استطاعت أن تهز نظرية الامن الاسرائيلى بكل ما يعنيه ذلك فى الحاضر والمستقبل .

● التاثير نتيجة لذلك على جو وعمل وموازين مؤتمر السلام المقترح ذلك لان القاعدة الدولية الثابتة دواما هى أن أى وثيقة لا تستطيع الا ترجمة الحقيقة .

لان الواقع هو الذى يملى على الصياغات ولاتستطيع الصياغات ان تملى على الواقع

● وربما كان الهدف الثالث شعوريا اكثر منه عقلانيا ذلك ان بعض مايجرى الان يعبر عن رد فعل بالغيظ لحالة فقدان التوازن بعد المفاجاة التى دهمت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى الساعات والايام الاولى من القتال وأسقطت هيبتها »

□

وليس بى قلق مما يجرى الان على ساحة ميدان القتال فهذه هى الحرب وجيشنا يخوضها صامدا لعواصفها واعاصيرها شجاعا ومقتدرا ، كما أن جماهير شعبنا فيها بكل وعيها واصرارها — ولكن قلقى أحيانا مما يجرى فى أعصاب البعض منا .

ولعلنا ندرك أن أعصابنا اليوم هى أقوى سلاحنا ، واختم بملاحظتين :

◀ هناك منجزات لم نعد نملكها وانما تملكها بطولة الرجال وتضحيات الرجال ودماء الرجال وقد كان دورهم فى ساحات القتال أنظف وأنبل وأعظم مشهد فى كل حياتنا وتاريخنا .

◀ ثم أن أمامنا مهام عاجلة ومتواصلة ، أولاها وأهمها ألا نفك الاشتباك مع العدو حتى اذا هدأت أصوات الانفجارات على الجبهة ... الصراع الان على الذروة ، وحتى اذا سكتت النيران فان هناك ما لابد — ضرورة — أن نحققه بالقوة ، وان لم يكن — ضرورة — بالنيران

ان العدو الان مهما بدا من عنفه مشدود على الاخر مكشوف على الاخر ماديا ومعنويا ... سياسيا واقتصاديا ...عسكريا ودوليا وليس من حقنا أن نتركه ليستريح الا عند نقطة نستطيع نحن عندها أن نستريح .

وعلينا ان نفكر بسرعة وعلينا ان نتحرك بسرعة وعلينا أن نحشد فكرا وعملا قدرات امة عربية باسرها عليها الخطر اذا استفحل، ولها الامن اذا انحصر وانحسر

ولقد أطلت ولم أجب الا على سؤال واحد مما وجهته لنفسى ، ووجهه لى غيرى ؛ وهناك أسئلة أخرى كثيرة .

محمد حسنين هيكل